يا صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ

يـــا
صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ في النَّجَـفِ
مَن زارَ قَبرَكَ واسْتَشفى لَدَيكَ شُفِي
زوروا أَبا الحَسَنِ الهادي لَعَلَّكُـــمُ
تُحظَون بالأجرِ والإقبالِ والزُّلَف
زوروا لِمَن تُسْمَعُ النَّجوى لَديهِ فَمَنْ
يَزرهُ بالقَبرِ مَلهوفاً لَديهِ كُفِـــي
إذا وَصَلْ فَاحْرِمْ قَبْلَ تَدْخُلَهُ
مُلَبِّيـاً وإسْعَ سَعْياً حَولَهُ وطُـفِ
حَتَّى إذا طِفْـــتَ سَبْعاً حَولَ قُبَّتِهِ
تأَمَّـلْ البابَ تَلْقى وَجْهَهُ فَقِـــفِ
وقُل سَلامٌ من اللهِ الســـلامِ على
أَهـلِ السلامِ وَأهلِ العلمِ والشـرَفِ

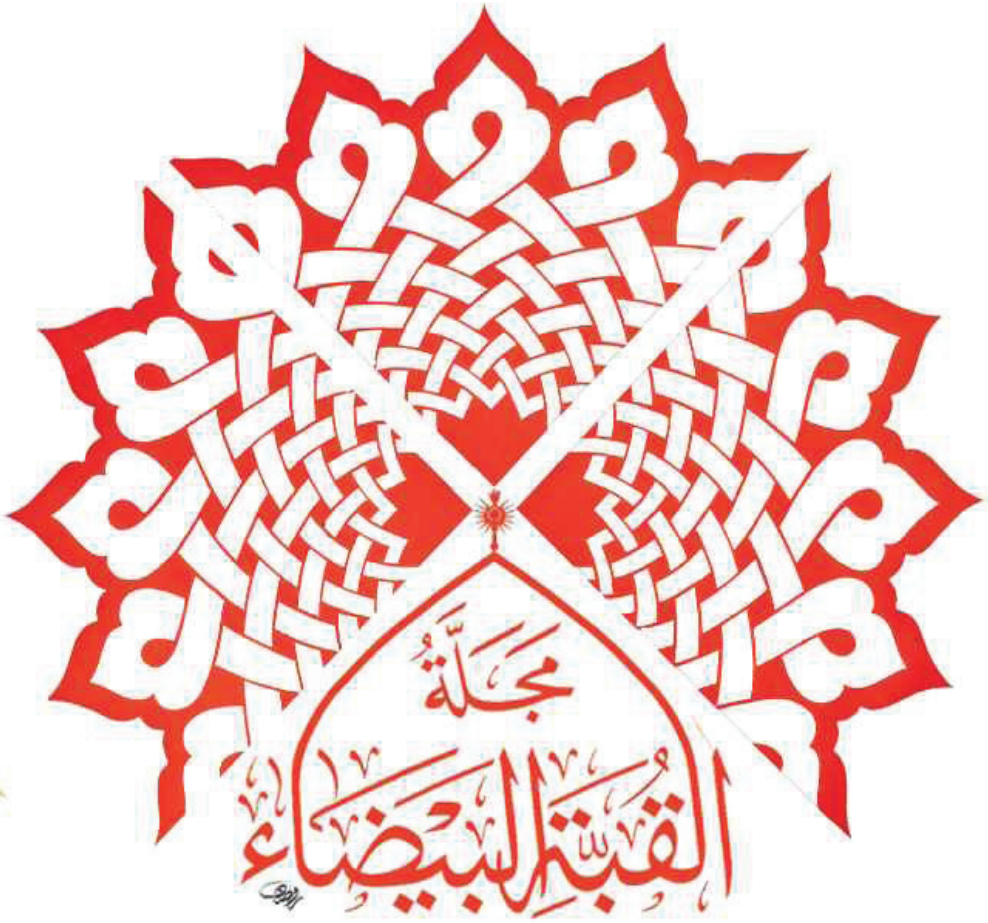

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية

السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

العدد (٩)جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م المجلد التاسع

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

No.: الرقم: ب ت ٤/ ٨١٦٥
Date: التاريخ: ٢٠/ ٧/ ٢٠٢٥

ديوان الوقف الشيعي/ دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة القبة البيضاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٣٧٥ بتاريخ ٢٠٢٥/٧/٩، والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ٤/ ٣٠٠٨ في ٢٠٢٤/٣/١٩، والمتضمن استحداث مجلتكم التي تصدر عن دائرتكم المذكوره اعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا اعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

...مع وافر التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ٧ /١٧

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادرة

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة القبة البيضاء مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

مهند ابراهيم
١٥/ تموز

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

المشرف العام
عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ . د . سامي حمود الحاج جاسم
التخصص/تاريخ إسلامي
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

مدير التحرير
حسين علي محمّد حسن
التخصص/لغة عربية وآدابها
دائرة البحوث والدراسات/ديوان الوقف الشيعي

هيأة التحرير
أ . د . علي عبد كنو
التخصص / علوم قرءان /تفسير
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية
أ . د . علي عطية شرقي
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد
أ . م . د . عقيل عباس الريكان
التخصص/ علوم قرءان تفسير
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية
أ . م . د.أحمد عبد خضير
التخصص/ فلسفة
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
م.د. نوزاد صفر بخش
التخصص/ أصول الدين
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
أ.م . د . طارق عودة مري
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

هيأة التحرير من خارج العراق
أ . د . مها خير بك ناصر
الجامعة اللبنانية / لبنان/لغة عربية..لغة
أ . د . محمّد خاقاني
جامعة اصفهان / إيران / لغة عربية..لغة
أ . د . خولة خمري
جامعة محمّد الشريف / الجزائر /حضارة وأديان..أديان
أ . د . نور الدين أبو لحية
جامعة باتنة / كلية العلوم الإسلامية / الجزائر
علوم قرءان/ تفسير

التدقيق اللغوي
أ . م . د . علي عبدالوهاب عباس
التخصص / اللغة والنحو
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

الترجمة
أ . م . د . رافد سامي مجيد
التخصص/ لغة إنكليزية
جامعة الإمام الصادق(عليه السلام)كلية الآداب

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العنوان الموقعي
مجلة القبة البيضاء
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات

الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي
ISSN3005_5830
رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٧)
لسنة ٢٠٢٣

البريد الالكتروني
إيميل
off_research@sed.gov.iq

IRAQI
Academic Scientific Journals

الرقم المعياري الدولي
(3005-5830)

دليل المؤلف.....

١-إن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢- إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربية . ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣-أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word) ٢٠٠٧ او ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤-أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغية APA

٦-أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين الف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧-أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨-أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩-أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام التلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠-تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم والمسافة بين الأسطر (١) .

١١-في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢-يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣-يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤-لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥-لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.

١٦-دمج مصادر البحث وهوامشه في عنوان واحد يكون في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧-يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨-يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الاستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩-يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) الف دينار.

٢٠-تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١-ترسل البحوث على العنوان الآتي: (بغداد – شارع فلسطين المركز الوطني لعلوم القرآن)

أو البريد الألكتروني: (off_research@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في الحساب المصرفي العائد إلى الدائرة.

٢٢-لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	موقف الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني من التطورات السياسية في ألمانيا الغربية (١٩٦٢-١٩٦٥)	م. د. أرشد حمزة حسن	٨
٢	توظيف الذكاء الاصطناعي في تحقيق روايات الحديث:دراسة تقويمية في ضوء قواعد مصطلح الحديث	أ.م.د. عبدالحميد مزاحم شاكر	٢٤
٣	العاطفة في شعر آل البيت للشعراء المحدثين	م. د. رملة عبد الحسين عليوي	٣٤
٤	الصناعة في عصر الذكاء الاصطناعي» مقال مراجعة»	م. د. شيماء حسين صالح	٤٨
٥	أثر تغيرموضوعات الأحكام في المسائل المستحدثة	م. د. ستار عباس الضخي	٥٦
٦	هنري نوكس ودوره السياسي والعسكري في الولايات المتحدة الامريكية (١٧٥٠ – ١٨٠٦)	نبأ عبد العزيز شاكر رجب أ.م. د. حليم عباس عبيد	٦٨
٧	الجهل المركب والجهل البسيط في ضوء القرآن الكريم: تحليل دلالي وتربوي	الباحثة ندى فوزي أ.د محسن قحطان حمدان	٨٠
٨	موقف النجف الأشرف من الوجود البريطاني في العراق «١٩١٤-١٩٢٢»	م. م. علي مصدق حسن	٨٨
٩	السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة «٢٠٠٤-٢٠٢٠»	م. علياء حمود مزيعل	١٠٢
١٠	أثر تطبيق الإدارة الاستراتيجية لتكاليف المحاسبة في دعم مبادئ التسويق السياحي المستدام: دراسة ميدانية في المدن السياحية الدينية بالعراق	الباحثة: زهراء صباح محمد	١١٤
١١	أبعاد الزمن في الفكر الجغرافي:الزمن الجيولوجيمقابل الزمن الاجتماعي وأثرهما في المفاهيم الجغرافية دراسة حالة العراق	م. م سوسن رؤوف سعيد	١٣٢
١٢	مهارات التفكير المنتج وعلاقتها بتحصيل مادة الرياضيات لدى طلاب الصف الثاني المتوسط	م. م. حذيفة جاسم محمد	١٤٤
١٣	أثر تطبيقات الذكاء الاصطناعي على المحاسبة الإدارية «دراسة ميدانية على موظفي المحاسبة في الادارات العام في واسط»	م. م. حسين نعمة إبراهيم	١٥٦
١٤	التعبير القرآني وبناء الشخصية المسلمة قراءة بلاغية تربوية	م. م. مرتضى علي الموسوي م. م. هبه مرتضى الموسوي	١٧٢
١٥	انتهاك حق الانسان في بيئة نظيفة ومسؤولية الادارة	د. علي مشهدي الباحث: غزوان علي كاظم	١٨٤
١٦	الاشارات التفسيرية عند السيد الطباطبائي في تفسيره كتاب الميزان في تفسير القرآن دراسة وصفية	م. علاء جبار كريم م. م سارة أياد ياسين	٢٠٢
١٧	أثر استراتيجية اوريلي في تحصيل طالبات الخامس العلمي في مادة الكيمياء	م. م. هبه حسن كاظم	٢٢٢
١٨	إلزامية التعليم في القوانين العراقية	م. م. ستار جبار مزعل	٢٣٦
١٩	الاحزاب السياسية الايرانية في عهد رضا شاه بهلوي (١٩٢٥ – ١٩٢٦) وأثرها على الحياة العامة	م. م. ندى وحيد حسين	٣٤٦
٢٠	دور الكرد في الدبلوماسية العراقية ١٩٣٤-١٩٦٨	م. م. عماد علي مهدي	٢٥٦
٢١	المدد الإلهي وتجليه في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) وبعدها	م.م. إيناس محمد راضي م. شيماء داود لطيف	٢٦٢
٢٢	جذور العلاقات العراقية ، الكويتية من العهد العثماني الى العهد الجمهوري	م. م. أسامة كاظم مفتاض	٢٧٨
٢٣	مسيرة جهاد الرسول (صلى الله عليه وآله)ومعاناته من أجل نشر الإسلام	م. م. رجاء فاضل ضمد	٢٨٨
٢٤	دور القنوات التلفزيونية الفضائية في نشر الوعي البيئي في محافظة ذي قار»دراسة مسحية على طلبة جامعة ذي قار	م. م. أسماء يوسف راضي	٣٠٢
٢٥	تأثير وسائل الإعلام على السياسة العامة في عصر المعلومات	م.م. رائد كريم خميس	٣١٤
٢٦	التعدي على مقدسات الغير مرتكزاته ومحذوراته وموجبات تحريمه في الفقه الإسلامي و القانون العراقي	الباحث: مهدي عبد مسلم د. حسن متهجد عسكري د. احمد صاحب سواري	٣٢٦
٢٧	السيدة زينب عليها السلام في ضوء السنن القرآنية من الابتلاء الى التمكين دراسة موضوعية	م. م. اكرام نوري مصطفى	٣٤٢
٢٨	The Effect of Flexible Seating on Focus and Collaborative Behavior in a 2nd Intermediate Classroom	Suha Okab Sarhan Salwan Adnan Ahme	٣٦٠
٢٩	الاقتباس القرآني في شعر الفرزدق	الباحث: نبراس فاضل حسن	٣٨٢
٣٠	السيدة زينب عليها السلام في ضوء السنن القرآنية من الابتلاء الى التمكين دراسة موضوعية	م. م. أحمد أسامة علاء الدين	٣٩٨
٣١	الشكل الرافديني كمرجعية في الرسم العراقي المعاصر	أ.د. سلام ادور يعقوب أوحي أكثم عبد الطيف	٤١٢

السيدة زينب عليها السلام في ضوء السنن القرآنية من الابتلاء الى التمكين دراسة موضوعية

م. م. اكرام نوري مصطفى
جامعة بغداد /كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

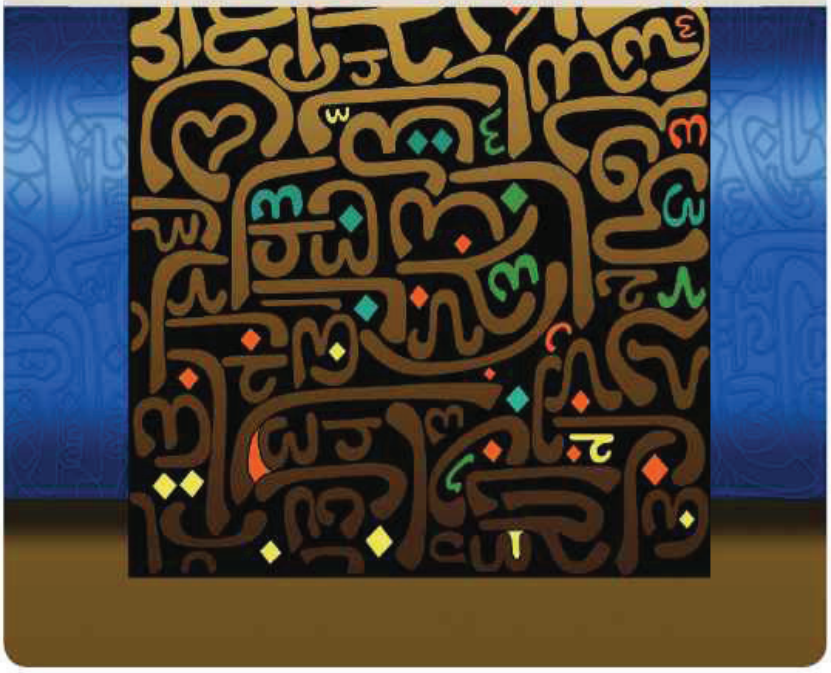

المستخلص:
يتناول هذا البحث شخصية السيدة زينب (عليها السلام) في ضوء السنن القرآنية، لا سيّما سنة الابتلاء والتمكين، بوصفها من أهم القواعد الإلهية التي تحكم حركة التاريخ ومسار الرسالات. وقد اعتمد البحث المنهج التفسيري الموضوعي في تتبّع الآيات التي تتحدث عن الابتلاء والتمكين، وربطها بمواقف السيدة زينب (عليها السلام) بعد فاجعة كربلاء، لبيان عظمة ثباتها وعمق إدراكها لسنن الله في التغيير. ويسعى البحث إلى إثبات أن السيدة زينب (عليها السلام) لم تكن مجرد شاهدة على المصاب، بل كانت فاعلة في تحويل الهزيمة الظاهرية إلى تمكين معنوي وفكري واجتماعي، مستندة في ذلك إلى وعي قرآني عميق، وإيمان راسخ بموعود الله. وقد خلُص البحث إلى أن شخصية السيدة زينب (عليها السلام) تمثل أنموذج حيًّا للمرأة المؤمنة الواعية التي جسّدت السنن القرآنية في أحلك الظروف..

الكلمات المفتاحية:السيدة زينب، السنن القرآنية، الابتلاء، التمكين، التفسير الموضوعي، كربلاء.

Abstract:
This research explores the character of Lady Zainab (peace be upon her) in light of Qur'anic laws (Sunan), particularly the divine laws of trial and empowerment. It adopts the thematic exegesis approach to trace Qur'anic verses related to tribulation and divine support, and examines how these concepts are reflected in Lady Zainab's stances after the tragedy of Karbala. The study aims to demonstrate that Lady Zainab was not merely a passive witness to the calamity but a key figure in transforming apparent defeat into spiritual, intellectual, and social empowerment. Her unwavering stance was rooted in deep Qur'anic awareness and firm faith in divine promise. The findings suggest that Lady Zainab (PBUH) is a living model of the conscious believing woman who embodied the Qur'anic laws of change in the most difficult circumstances.

Keywords:Lady Zainab, Qur'anic laws, trial, empowerment, thematic interpretation, Karbala.

المبحث الاول: الابتلاء في حياة السيدة زينب (عليها السلام) في ضوء السنن القرآنية

المطلب الأول:

سنّة الابتلاء في القران الكريم «المفهوم والدلالات»

من بين السنن الإلهية التي بيّنها القرآن الكريم للناس كافة، وأكّد على شموليتها وثباتها، سنة الابتلاء التي تُعدُّ من أعمق السنن القرآنية أثرًا في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتوجيهه نحو الكمال، فقد عالجت النصوص القرآنية الابتلاء باعتباره أحد الوسائل الأساسية التي يربي بها الله عباده ويقودهم من طور الاستكانة والجهل إلى طور النضج والتمكين، ولأن السنة الإلهية لا تتبدل ولا تتحول، كما ورد في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (١)، فقد جاءت هذه السنة حاضرة في مسيرة الأنبياء والمؤمنين، لتصنع من الصابرين أئمة، وتجعل من الممتحنين أمناء على الرسالة.

وقد حملت لفظة الابتلاء في القرآن الكريم معاني متعدّدة تدور جميعها حول الامتحان والاختبار، ليس فقط في مواطن الشدة والعسر، بل حتى في مواضع الرخاء، لأن الغنى واليسر قد يكونان أشد فتنة من الفقر والضيق. ولذا جاء قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (٢) ليؤكد أن مجمل ما يعيشه الإنسان من تقلبات هو ابتلاء مستمر، يُبنى به الإيمان، ويُصقّى به القلب، وتُكشف به معادن الرجال والنساء على حد سواء. والابتلاء في حقيقته ليس جزافًا، بل هو

فعل ربانيّ نابع من حكمة مطلقة، يُوظّف لغايات عليا، من أبرزها تطهير النفوس، وتمييز الصفوف، وتقوية العزائم، وبناء الصبر الحقيقي الذي لا يتزعزع أمام العواصف (٣).

لقد عرض القرآن الكريم نماذج عديدة من قصص الممتحنين والمبتلين، بدءًا من سيدنا آدم (عليه السلام) الذي بُلي بإبليس والاختيار، ثم نوح الذي بُلي بقومه الرافضين، ثم إبراهيم الذي ابتُلي في عقيدته وولده ونفسه، ومرورًا بموسى الذي واجه طغيان فرعون، وعيسى الذي واجه تآمر قومه، وختامًا بسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي جمع الله له صور الابتلاء كلها، فكان النموذج الأتم للممتحَن الصابر، الذي استحق النصر والتمكين في النهاية. ولعل القاسم المشترك بين هذه النماذج كلها هو أن الابتلاء لم يكن أبدًا دليلَ غضب، بل كان أحيانًا وسيلة اصطفاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (٤) بعد أن اجتاز إبراهيم سلسلة من الابتلاءات العظمى..

وإذا ما تأملنا في هذه السنة الربانية من حيث أثرها التربوي، نجد أنها تهدف إلى كشف حقيقة الإنسان أمام نفسه أولًا، وإعداده لمسؤولية أكبر ثانيًا، وتحقيق التوازن النفسي بين الرجاء والخوف ثالثًا، وتثبيت علاقة العبد بربه رابعًا. فالإنسان في لحظة الابتلاء يُنزع منه زيف الادّعاء، ويسقط عنه قناع التظاهر، ليظهر على حقيقته، فإن صبر ثبت، وإن جزع انكشف. ولذلك قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٥)، فالإيمان لا يُصدَّق عليه إلا بالابتلاء، وهو معيار يميز المؤمن الصادق عن مدّعي الإيمان، ويُغربل المجتمع من الداخل.

وما من شك أن الابتلاء القرآني يتخذ أشكالًا متعدّدة؛ فقد يكون بالنفس، كما في المرض أو القتل أو الأسر، وقد يكون بالمال، كما في الفقر أو الخسارة، وقد يكون بالولد، كما في الفقد أو الانحراف، وقد يكون في المبادئ، كما في لحظة المفاضلة بين الحق والحياة، أو بين الدين والمصلحة (٦). وهذه الأشكال تتكامل لتصنع شخصية قرآنية حقيقية، لا تتعلق بالمظاهر، وإنما تثمر في القلب روحَ الصبر واليقين. ومن هنا، لا يكون الصبر موقفًا سلبيًا، بل هو تفاعل حيّ مع سنن الله، يترقّى فيه العبد من مرتبة الرضا إلى مقام الرؤية الباطنية للجمال الإلهي حتى في أحلك اللحظات. وهو ما عبّرت عنه السيدة زينب (عليها السلام) بقولها الخالد أمام الطاغية: "ما رأيت إلا جميلًا"، وهو ليس كلامًا عاطفيًا، بل فهم عميق لسنة الابتلاء بوصفها طريقًا للارتقاء (٧)

إنّ المتأمّل في سيرة السيدة زينب (عليها السلام) يجد أن الابتلاء كان سُنّة ملازمة لمسيرتها المباركة، منذ نعومة أظفارها وحتى آخر لحظة من حياتها، وقد جسّدت هذه السُنّة الإلهية في أسمى معاني الصبر والثبات. فابتلاؤها لم يكن عارضًا أو لحظة عابرة، بل كان منهجًا ربّانيًا أظهر من خلاله الله تعالى مقام أوليائه وميزان تمكينهم. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه السنن بقوله تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ} (العنكبوت: ٢)فجاء هذا الابتلاء تمحيصا وتكريما لا تعذيبا واقصاء،

إنّ زينب الكبرى (عليها السلام) لم تكن شاهدة على البلاء فحسب، بل كانت مؤمنة عاملة في قلبه، فهي لم تنهَر في الشدائد، ولم تتراجع أمام المحن، بل وقفت خطيبةً وموجّهة، واعيةً بموقعها الرسالي، عالمةً بمقامها في منظومة السنن الإلهية، وهذا ما يجعل سيرتها مثالًا حيًا على أن الابتلاء ليس عكس التمكين، بل طريقٌ له، وقد قال تعالى:

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص: ٥)وكان تمكين زينب (عليها السلام)هو تمكين للكلمة والموقف لا للملك والسلاح ، فخاطبت يزيد بوعي رساليّ يتجاوز لحظة الأسر إلى سعة الرسالة.

إن سيرة السيدة زينب (عليها السلام) تمثل ميدانًا تطبيقيًّا بارزًا لسنة الابتلاء القرآنية، فقد عاشت كل ألوان المحنة: من فقد الأخ والأبناء، إلى السبي والانكشاف، إلى المواجهة في مجلس الطغاة، لكنها لم تنهَر، بل تجلت فيها معاني الثبات والتوكّل، وكأنها هي النموذج المؤنث لقيم الصبر النبوي. إن زينب (عليها السلام) لم تكن صابرة فقط، بل كانت مُبصرة، واعية، مدركة لسنة الله في خلقه، ولذلك لم تغضب، ولم تجزع، بل أدركت أن هذه المرحلة هي اختبار تمهيدي لمرحلة التمكين القادمة، والتي ظهرت في قيادتها للنساء، وبلاغتها في الخطابة، ووقوفها شامخة في وجه الظالمين، وهذه الرؤية العميقة للابتلاء لا تتأتى إلا لمن تمرّس في مدرسة القرآن وترقّى في أحضان النبوة (٨).

ولذلك، فإن دراسة الابتلاء بوصفه سنة قرآنية، لا يمكن أن تكتمل دون الربط بين النصوص النظرية والتطبيقات الواقعية في سير العظماء، وعلى رأسهم أهل البيت (عليها السلام)، ومنهم زينب الكبرى، التي طبقت السنن الإلهية في الابتلاء عمليًا، وجسّدت مفاهيم الصبر والشجاعة والتمكين بلغة الواقع، لا لغة الشعارات.

والقرآن الكريم حين يذكر قصص الابتلاء، لا يهدف فقط إلى التسلية أو التذكير، بل إلى التربية وبناء الوعي بأن طريق الكمال محفوف بالعقبات، وأن الأمانة لا تُمنح إلا لمن ثبت في لحظات الشدة، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ (٩).

المطلب الثاني:

سنة التمحيص في القران الكريم _الكشف والتمييز الالهي :

من بين السنن الإلهية التي بيّنها القرآن الكريم للناس كافة، وآكّد على شموليتها وثباتها، سنة الابتلاء التي تُعدُّ من أعمق السنن القرآنية أثرًا في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتوجيهه نحو الكمال، فقد عالجت النصوص القرآنية الابتلاء باعتباره أحد الوسائل الأساسية التي يربي بها الله عباده ويقودهم من طور الاستكانة والجهل إلى طور النضج والتمكين، ولأن السنة الإلهية لا تتبدل ولا تتحول، كما ورد في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (١٠)، فقد جاءت هذه السنة حاضرة في مسيرة الأنبياء والمؤمنين، لتصنع من الصابرين أئمة، وتجعل من الممتحنين أمناء على الرسالة.

وقد حملت لفظة الابتلاء في القرآن الكريم معاني متعدّدة تدور جميعها حول الامتحان والاختبار، ليس فقط في مواطن الشدة والعسر، بل حتى في مواضع الرخاء، لأن الغنى واليسر قد يكونان أشد فتنة من الفقر والضيق. ولذا جاء قوله تعالى: ﴿ونَبْلُوكُم بِالشَّرِّ والْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (١١) ليؤكد أن مجمل ما يعيشه الإنسان من تقلبات هو ابتلاء مستمر، يُبنى به الإيمان، ويُصفّى به القلب، وتُكشف به معادن الرجال والنساء على حد سواء. والابتلاء في حقيقته ليس جزافًا، بل هو فعل رباني نابع من حكمة مطلقة، يُوظّف لغايات عليا، من أبرزها تطهير النفوس، وتمييز الصفوف، وتقوية العزائم، وبناء الصبر الحقيقي الذي لا يتزعزع أمام العواصف (١٢).

لقد عرض القرآن الكريم نماذج عديدة من قصص الممتحنين والمبتلين، بدءًا من سيدنا آدم (عليه السلام) الذي بُلي بإبليس والاختيار، ثم نوح الذي بُلي بقومه الرافضين، ثم إبراهيم الذي ابتُلي في عقيدته وولده ونفسه، ومرورًا بموسى الذي واجه طغيان فرعون، وعيسى الذي واجه تآمر قومه، وختامًا بسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي جمع الله له صور الابتلاء كلها، فكان النموذج الأتم للممتحَن الصابر، الذي استحق النصر والتمكين في النهاية. ولعل القاسم المشترك بين هذه النماذج كلها هو أن الابتلاء لم يكن أبدًا دليلَ غضب، بل كان أحيانًا وسيلة اصطفاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (١٣)بعد أن اجتاز إبراهيم سلسلة من الابتلاءات العظمى.

وإذا ما تأملنا في هذه السنة الربانية من حيث أثرها التربوي، نجد أنها تهدف إلى كشف حقيقة الإنسان أمام نفسه أولًا، وإعداده لمسؤولية أكبر ثانيًا، وتحقيق التوازن النفسي بين الرجاء والخوف ثالثًا، وتثبيت علاقة العبد بربه رابعًا. فالإنسان في لحظة الابتلاء يُنزع منه زيف الادّعاء، ويسقط عنه قناع التظاهر، ليظهر على حقيقته، فإن صبر ثبت، وإن جزع انكشف. ولذلك قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (١٤)، فالإيمان لا يُصَدّق عليه إلا بالابتلاء، وهو معيار يميز المؤمن الصادق عن مدّعي الإيمان، ويُغربل المجتمع من الداخل.

وما من شك أن الابتلاء القرآني يتخذ أشكالًا متعدّدة؛ فقد يكون بالنفس، كما في المرض أو القتل أو الأسْر، وقد يكون بالمال، كما في الفقر أو الخسارة، وقد يكون بالولد، كما في الفقد أو الانحراف، وقد يكون في المبادئ، كما في لحظة المفاضلة بين الحق والحياة، أو بين الدين والمصلحة (١٥). وهذه الأشكال تتكامل لتصنع شخصية قرآنية حقيقية، لا تتعلق بالمظاهر، وإنما تثمر في القلب روحَ الصبر واليقين. ومن هنا، لا يكون الصبر موقفًا سلبيًا، بل هو تفاعل حيٌّ مع سنن الله، يترقّى فيه العبد من مرتبة الرضا إلى مقام الرؤية الباطنية للجمال الإلهي حتى في أحلك اللحظات. وهو ما

عبّرت عنه السيدة زينب (عليها السلام) بقولها الخالد أمام الطاغية: "ما رأيت إلا جميلًا"، وهو ليس كلامًا عاطفيًا، بل فهم عميق لسنة الابتلاء بوصفها طريقًا للارتقاء. (١٦).

إن سيرة السيدة زينب (عليها السلام) تمثل ميدانًا تطبيقيًا بارزًا لسنة الابتلاء القرآنية، فقد عاشت كل ألوان المحنة: من فقد الأخ والأبناء، إلى السبي والانكشاف، إلى المواجهة في مجلس الطغاة، لكنها لم تنهَر، بل تجلت فيها معاني الثبات والتوكّل، وكأنها هي النموذج المؤنث لقيم الصبر النبوي. إن زينب (عليها السلام) لم تكن صابرة فقط، بل كانت مُبصرة، واعية، مدركة لسنة الله في خلقه، ولذلك لم تغضب، ولم تجزع، بل أدركت أن هذه المرحلة هي اختبار تمهيدي لمرحلة التمكين القادمة، والتي ظهرت في قيادتها للنساء، وبلاغتها في الخطابة، ووقوفها شامخة في وجه الظالمين، وهذه الرؤية العميقة للابتلاء لا تتأتى إلا لمن تمرّس في مدرسة القرآن وترقى في أحضان النبوة (١٧).

ولذلك، فإن دراسة الابتلاء بوصفه سنة قرآنية، لا يمكن أن تكتمل دون الربط بين النصوص النظرية والتطبيقات الواقعية في سير العظماء، وعلى رأسهم أهل البيت (عليها السلام)، ومنهم زينب الكبرى، التي طبقت السنن الإلهية في الابتلاء عمليًا، وجسّدت مفاهيم الصبر والشجاعة والتمكين بلغة الواقع، لا لغة الشعارات.

إن سنة التمحيص في القرآن الكريم تُعدُّ من السنن الإلهية الدقيقة التي تُلازم مسيرة الابتلاء، وتشكّل مرحلة لاحقة له، حيث لا يقتصر هدف الامتحان الإلهي على مجرد الابتلاء، بل يتجاوزه إلى تمحيص النفوس وتصفيتها، وكشف الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق. والتمحيص لغةً مأخوذ من "محص"، أي أزال الخبث والشوائب، كما يُمحَّص الذهب بالنار ليُعرف خالصه من زائفه (١٨) وهو ما تؤكده المعاني القرآنية في سياقات متعددة، منها قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩)، مما يدل على أن التمحيص هو عملية تطهير روحي، ومرحلة فرز بين أهل الثبات وأهل الزيف..

ويختلف التمحيص عن الابتلاء في كونه أعمق تحليلًا للذات الإنسانية، فالابتلاء قد يكون عامًا: يشمل الجميع، بينما التمحيص أكثر تخصيصًا: فهو يستهدف المؤمنين تحديدًا، لا لكونهم مذنبين، بل لأنهم مرشّحون لحمل الرسالة، ومن هنا تأتي ضرورة التمحيص لتكون نفوسهم على مستوى التكليف. ولذلك فإن كثيرًا من الابتلاءات التي تصيب المؤمنين لا تكون عقوبة، بل تهيئة لمهمة أعظم، كما بيّن الإمام علي (عليه السلام) حين قال: "إن البلاء للظالم أدب، وللمؤمن امتحان، وللأنبياء درجة، وللأولياء كرامة" (٢٠)، وفي ذلك دلالة على أن التمحيص وظيفة تربوية إصلاحية، تهيّئ الإنسان للتمكين لاحقًا.

وقد وردت سنة التمحيص في سياق غزوة أُحد، عندما تساءل الصحابة عن سبب الهزيمة رغم إيمانهم، فجاء الجواب: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ (٢١)، أي أن هذه المحنة كانت وسيلةً لفضح المنافقين، وكشف الزيف الذي كان مختبئًا خلف الشعارات. إن تمحيص الصفوف سنة قرآنية ضرورية لبناء الجماعة المؤمنة على أسس صحيحة، لأن التمكين لا يُعطى لمجتمع فيه خلل داخلي، ولذلك فإن الله لا يمكّن حتى يُنقّي الصف، ويجعل أهل التزكية وحدهم في الواجهة.

والتمحيص في القرآن لا يكون دائمًا بالشدة، بل قد يكون بالنعم أيضًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٢)، فالله يختبر بالرخاء كما يختبر بالضراء، ليرى من يشكر ومن يطغى، ومن يثبت ومن يتراجع. وهذه السنة تكشف أن جوهر التمحيص هو إخراج الناس من الادعاء إلى الحقيقة، ومن المظاهر إلى الجوهر، ولذلك لا تمرُّ على الإنسان مرورًا سطحيًا، بل تُحدث فيه تحوّلات نفسية وروحية عميقة. ومن هنا فإن التمحيص مرحلة ضرورية تسبق أي تمكين حقيقي، لأنه لا تمكين بلا تمحيص، ولا خلافة على الأرض لمن لم يُنقَّه الله.

وقد تجلّت هذه السنة في سيرة السيدة زينب (عليها السلام) بأوضح صورها، فهي لم تكن ممتحنة فقط، بل كانت محمصة، وقد اجتازت هذه السنة بأعلى درجاتها. لم تكن زينب فقط شاهدة على المصيبة، بل كانت جزءًا من قدرٍ ربانيٍ يصفّي أهل البيت (عليهم السلام) من كل شائبة بشرية، لتبقى الطهارة ناصعة في مواجهة الطغيان، فكان تمحيصها تمهيدًا لدورها الخطابي والقيادي، الذي لا يقل أثرًا عن دور الحسين (عليه السلام) في ساحة الجهاد. ولولا هذا التمحيص، لما تجلّت

في خطبها تلك البصيرة، ولا في مواقفها تلك الثقة، فالنار التي مرّت بها لم تكن لإحراقها، بل لصقل جوهرها (٢٣).

وهكذا نفهم أن التمحيص الإلهي يُبنى على عدلٍ ورحمة، وأنه لا يُصيب إلا من استحقه بالاختيار الإلهي، وهو شرف لا يُعطى لكل أحد، ولذلك فإن أعلى مراحل العبودية لا تأتي بالصلاة فقط، بل تمر عبر طريق الألم والصبر والوعي. والسيدة زينب (عليها السلام) حين واجهت الموقف في كربلاء وما بعده، كانت تمثّل الصورة الأسمى لهذا التمحيص، فقد كشفت كلماتها عن وعي قرآني عميق بسنة الله في خلقه، وعن فهم دقيق لدور المحن في فرز الأمة وتمييز عناصرها. لم تكتفِ بالسكون أو الصبر التقليدي، بل تجاوزت ذلك إلى خطاب التحدي الواعي، الذي يُحطّم المنظومة الظالمة بالحجّة، ويعيد تعريف الانتصار (٢٤).

ومن هذا المنظور، فإن سنة التمحيص تفسّر لنا لماذا لا يأتي النصر سريعًا، ولماذا يُمهَل الظالم أحيانًا، ولماذا يشتدّ الكرب بالمؤمنين، لأن الحقيقة هي أن النصر لا يُعطى قبل أن يُكشف كل شيء على حقيقته، ولا يُرفع البلاء حتى يظهر معدن كل نفس، ولذلك قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (٢٥)، وهذه سنة لا بدّ أن تمرّ بها كل أمة مؤمنة، وكل فرد صادق في التوجّه إلى الله، وبدونها يبقى الصف ملوّثًا، والرسالة مهددة، والتمكين مؤجلًا.

من بين السنن الإلهية التي بيّنها القرآن الكريم للناس كافة، وأكّد على شموليتها وثباتها، سنة الابتلاء التي تُعدُّ من أعمق السنن القرآنية أثرًا في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتوجيهه نحو الكمال، فقد عالجت النصوص القرآنية الابتلاء باعتباره أحد الوسائل الأساسية التي يربي بها الله عباده ويقودهم من طور الاستكانة والجهل إلى طور النضج والتمكين، ولأن السنة الإلهية لا تتبدل ولا تتحول، كما ورد في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٢٦)، فقد جاءت هذه السنة حاضرة في مسيرة الأنبياء والمؤمنين، لتصنع من الصابرين أئمة، وتجعل من الممتحنين أمناء على الرسالة.

وقد حملت لفظة الابتلاء في القرآن الكريم معاني متعدّدة تدور جميعها حول الامتحان والاختبار، ليس فقط في مواطن الشدة والعسر، بل حتى في مواضع الرخاء، لأن الغنى واليسر قد يكونان أشد فتنة من الفقر والضيق. ولذا جاء قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (٢٧) ليؤكد أن مجمل ما يعيشه الإنسان من تقلبات هو ابتلاء مستمر، يُبنى به الإيمان، ويُصفّى به القلب، وتُكشف به معادن الرجال والنساء على حد سواء. والابتلاء في حقيقته ليس جزافًا، بل هو فعل ربانيّ نابع من حكمة مطلقة، يُوظّف لغايات عليا، من أبرزها تطهير النفوس، وتمييز الصفوف، وتقوية العزائم، وبناء الصبر الحقيقي الذي لا يتزعزع أمام العواصف (٢٨).

لقد عرض القرآن الكريم نماذج عديدة من قصص الممتحنين والمبتلين، بدءًا من سيدنا آدم (عليه السلام) الذي بُلي بإبليس والاختيار، ثم نوح الذي بُلي بقومه الرافضين، ثم إبراهيم الذي ابتُلي في عقيدته وولده ونفسه، ومرورًا بموسى الذي واجه طغيان فرعون، وعيسى الذي واجه تآمر قومه، وختامًا بسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي جمع الله له صور الابتلاء كلها، فكان النموذج الأتم للممتحَن الصابر، الذي استحق النصر والتمكين في النهاية. ولعل القاسم المشترك بين هذه النماذج كلها هو أن الابتلاء لم يكن أبدًا دليل غضب، بل كان أحيانًا وسيلة اصطفاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (٢٩) بعد أن اجتاز إبراهيم سلسلة من الابتلاءات العظمى.

وإذا ما تأملنا في هذه السنة الربانية من حيث أثرها التربوي، نجد أنها تهدف إلى كشف حقيقة الإنسان أمام نفسه أولًا، وإعداده لمسؤولية أكبر ثانيًا، وتحقيق التوازن النفسي بين الرجاء والخوف ثالثًا، وتثبيت علاقة العبد بربه رابعًا. فالإنسان في لحظة الابتلاء يُنزع منه زيف الادّعاء، ويسقط عنه قناع التظاهر، ليظهر على حقيقته، فإن صبر ثبت، وإن جزع انكشف. ولذلك قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٣٠)، فالإيمان لا يُصدّق عليه إلا بالابتلاء، وهو معيار يميز المؤمن الصادق عن مدّعي الإيمان، ويُغربل المجتمع من الداخل.

وما من شك أن الابتلاء القرآني يتخذ أشكالًا متعدّدة؛ فقد يكون بالنفس، كما في المرض أو القتل أو الأسر، وقد

يكون بالمال، كما في الفقر أو الخسارة، وقد يكون بالولد، كما في الفقد أو الانحراف، وقد يكون في المبادئ، كما في لحظة المفاضلة بين الحق والحياة، أو بين الدين والمصلحة (٣١) وهذه الأشكال تتكامل لتصنع شخصية قرآنية حقيقية، لا تتعلق بالمظاهر، وإنما تثمر في القلب روح الصبر واليقين. ومن هنا، لا يكون الصبر موقفًا سلبيًّا، بل هو تفاعل حيٌّ مع سنن الله، يترقّى فيه العبد من مرتبة الرضا إلى مقام الرؤية الباطنية للجمال الإلهي حتى في أحلك اللحظات. وهو ما عبّرت عنه السيدة زينب (عليها السلام) بقولها الخالد أمام الطاغية: "ما رأيت إلا جميلًا"، وهو ليس كلامًا عاطفيًّا، بل فهم عميق لسنة الابتلاء بوصفها طريقًا للارتقاء (٣٢).

إن سيرة السيدة زينب (عليها السلام) تمثل ميدانًا تطبيقيًّا بارزًا لسنة الابتلاء القرآنية، فقد عاشت كل ألوان المحنة: من فقد الأخ والأبناء، إلى السبي والانكشاف، إلى المواجهة في مجلس الطغاة، لكنها لم تنهَر، بل تجلت فيها معاني الثبات والتوكّل، وكأنها هي النموذج المؤنث لقيم الصبر النبوي. إن زينب (عليها السلام) لم تكن صابرة فقط، بل كانت مُبصرة، واعية، مدركة لسنة الله في خلقه، ولذلك لم تغضب، ولم تجزع، بل أدركت أن هذه المرحلة هي اختبار تمهيدي لمرحلة التمكين القادمة، والتي ظهرت في قيادتها للنساء، وبلاغتها في الخطابة، ووقوفها شامخة في وجه الظالمين، وهذه الرؤية العميقة للابتلاء لا تتأتى إلا لمن تمرّس في مدرسة القرآن وترقّى في أحضان النبوة (٣٣).

ولذلك، فإن دراسة الابتلاء بوصفه سنة قرآنية، لا يمكن أن تكتمل دون الربط بين النصوص النظرية والتطبيقات الواقعية في سير العظماء، وعلى رأسهم أهل البيت (عليهم السلام)، ومنهم زينب الكبرى، التي طبقت السنن الإلهية في الابتلاء عمليًا، وجسّدت مفاهيم الصبر والشجاعة والتمكين بلغة الواقع، لا لغة الشعارات.

من بين السنن الإلهية التي بيّنها القرآن الكريم للناس كافة، وأكّد على شموليتها وثباتها، سنة الابتلاء التي تُعدُّ من أعمق السنن القرآنية أثرًا في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتوجيهه نحو الكمال، فقد عالجت النصوص القرآنية الابتلاء باعتباره أحد الوسائل الأساسية التي يربي بها الله عباده ويقودهم من طور الاستكانة والجهل إلى طور النضج والتمكين، ولأن السنة الإلهية لا تتبدل ولا تتحول، كما ورد في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٣٤)، فقد جاءت هذه السنة حاضرة في مسيرة الأنبياء والمؤمنين، لتصنع من الصابرين أئمة، وتجعل من الممتحنين أمناء على الرسالة.

وقد حملت لفظة الابتلاء في القرآن الكريم معاني متعدّدة تدور جميعها حول الامتحان والاختبار، ليس فقط في مواطن الشدة والعسر، بل حتى في مواضع الرخاء، لأن الغنى واليسر قد يكونان أشد فتنة من الفقر والضيق. ولذا جاء قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (٣٥) ليؤكد أن مجمل ما يعيشه الإنسان من تقلبات هو ابتلاء مستمر، يُبنى به الإيمان، ويُصفّى به القلب، وتُكشف به معادن الرجال والنساء على حد سواء. والابتلاء في حقيقته ليس جزافًا، بل هو فعل ربانٍ نابع من حكمة مطلقة، يُوظّف لغايات عليا، من أبرزها تطهير النفوس، وتمييز الصفوف، وتقوية العزائم، وبناء الصبر الحقيقي الذي لا يتزعزع أمام العواصف (٣٦).

لقد عرض القرآن الكريم نماذج عديدة من قصص الممتحنين والمبتلين، بدءًا من سيدنا آدم (عليه السلام) الذي بُلي بإبليس والاختيار، ثم نوح الذي بُلي بقومه الرافضين، ثم إبراهيم الذي ابتُلي في عقيدته وولده ونفسه، ومرورًا بموسى الذي واجه طغيان فرعون، وعيسى الذي واجه تآمر قومه، وختامًا بسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي جمع الله له صور الابتلاء كلها، فكان النموذج الأتم للممتحَن الصابر، الذي استحق النصر والتمكين في النهاية. ولعل القاسم المشترك بين هذه النماذج كلها هو أن الابتلاء لم يكن أبدًا دليل غضب، بل كان أحيانًا وسيلة اصطفاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (٣٧) بعد أن اجتاز إبراهيم سلسلة من الابتلاءات العظمى.

وإذا ما تأملنا في هذه السنة الربانية من حيث أثرها التربوي، نجد أنها تهدف إلى كشف حقيقة الإنسان أمام نفسه أولًا، وإعداده لمسؤولية أكبر ثانيًا، وتحقيق التوازن النفسي بين الرجاء والخوف ثالثًا، وتثبيت علاقة العبد بربه رابعًا. فالإنسان في لحظة الابتلاء يُنزع منه زيف الادّعاء، ويسقط عنه قناع التظاهر، ليظهر على حقيقته، فإن صبر ثبت، وإن جزع

انكشف. ولذلك قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٣٨)، فالإيمان لا يُصدّق عليه إلا بالابتلاء، وهو معيار يميز المؤمن الصادق عن مدّعي الإيمان، ويُغربل المجتمع من الداخل.

وما من شك أن الابتلاء القرآني يتخذ أشكالًا متعدّدة؛ فقد يكون بالنفس، كما في المرض أو القتل أو الأسْر، وقد يكون بالمال، كما في الفقر أو الخسارة، وقد يكون بالولد، كما في الفقد أو الانحراف، وقد يكون في المبادئ، كما في لحظة المفاضلة بين الحق والحياة، أو بين الدين والمصلحة (٣٩). وهذه الأشكال تتكامل لتصنع شخصية قرآنية حقيقية، لا تتعلق بالمظاهر، وإنما تثمر في القلب روحَ الصبر واليقين. ومن هنا، لا يكون الصبر موقفًا سلبيًا، بل هو تفاعل حيٌّ مع سنن الله، يترقّى فيه العبد من مرتبة الرضا إلى مقام الرؤية الباطنية للجمال الإلهي حتى في أحلك اللحظات. وهو ما عبّرت عنه السيدة زينب (عليها السلام) بقولها الخالد أمام الطاغية: "ما رأيت إلا جميلًا"، وهو ليس كلامًا عاطفيًا، بل فهم عميق لسنة الابتلاء بوصفها طريقًا للارتقاء (٤٠).

إن سيرة السيدة زينب (عليها السلام) تمثل ميدانًا تطبيقيًا بارزًا لسنة الابتلاء القرآنية، فقد عاشت كل ألوان المحنة: من فقد الأخ والأبناء، إلى السبي والانكشاف، إلى المواجهة في مجلس الطغاة، لكنها لم تنهر، بل تجلت فيها معاني الثبات والتوكّل، وكأنها هي النموذج المؤنث لقيم الصبر النبوي. إن زينب (عليها السلام) لم تكن صابرة فقط، بل كانت مُبصرة، واعية، مدركة لسنة الله في خلقه، ولذلك لم تغضب، ولم تجزع، بل أدركت أن هذه المرحلة هي اختبار تمهيدي لمرحلة التمكين القادمة، والتي ظهرت في قيادتها للنساء، وبلاغتها في الخطابة، ووقوفها شامخة في وجه الظالمين، وهذه الرؤية العميقة للابتلاء لا تتأتى إلا لمن تمرّس في مدرسة القرآن وترقّى في أحضان النبوة (٤١).

ولذلك، فإن دراسة الابتلاء بوصفه سنة قرآنية، لا يمكن أن تكتمل دون الربط بين النصوص النظرية والتطبيقات الواقعية في سير العظماء، وعلى رأسهم أهل البيت (عليهم السلام)، ومنهم زينب الكبرى، التي طبقت السنن الإلهية في الابتلاء عمليًا، وجسّدت مفاهيم الصبر والشجاعة والتمكين بلغة الواقع، لا لغة الشعارات.

من بين السنن الإلهية التي بيّنها القرآن الكريم للناس كافة، وأكّد على شموليتها وثباتها، سنة الابتلاء التي تُعدُّ من أعمق السنن القرآنية أثرًا في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتوجيهه نحو الكمال، فقد عالجت النصوص القرآنية الابتلاء باعتباره أحد الوسائل الأساسية التي يربي بها الله عباده ويقودهم من طور الاستكانة والجهل إلى طور النضج والتمكين، ولأن السنة الإلهية لا تتبدل ولا تتحول، كما ورد في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٤٢)، فقد جاءت هذه السنة حاضرة في مسيرة الأنبياء والمؤمنين، لتصنع من الصابرين أئمة، وتجعل من الممتحنين أمناء على الرسالة.

وقد حملت لفظة الابتلاء في القرآن الكريم معاني متعدّدة تدور جميعها حول الامتحان والاختبار، ليس فقط في مواطن الشدة والعسر، بل حتى في مواضع الرخاء، لأن الغنى واليسر قد يكونان أشد فتنة من الفقر والضيق. ولذا جاء قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (٤٣) ليؤكد أن مجمل ما يعيشه الإنسان من تقلبات هو ابتلاء مستمر، يُبنى به الإيمان، ويُصفّى به القلب، وتُكشف به معادن الرجال والنساء على حد سواء. والابتلاء في حقيقته ليس جزافًا، بل هو فعل ربانيٌ نابع من حكمة مطلقة، يُوظّف لغايات عليا، من أبرزها تطهير النفوس، وتمييز الصفوف، وتقوية العزائم، وبناء الصبر الحقيقي الذي لا يتزعزع أمام العواصف (٤٤).

لقد عرض القرآن الكريم نماذج عديدة من قصص الممتحنين والمبتلين، بدءًا من سيدنا آدم (عليها السلام) الذي بُلي بإبليس والاختيار، ثم نوح الذي بُلي بقومه الرافضين، ثم إبراهيم الذي ابتُلي في عقيدته وولده ونفسه، ومرورًا بموسى الذي واجه طغيان فرعون، وعيسى الذي واجه تآمر قومه، وختامًا بسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي جمع الله له صور الابتلاء كلها، فكان النموذج الأتم للممتحَن الصابر، الذي استحق النصر والتمكين في النهاية. ولعل القاسم المشترك بين هذه النماذج كلها هو أن الابتلاء لم يكن أبدًا دليلَ غضب، بل كان أحيانًا وسيلة اصطفاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (٤٥) بعد أن اجتاز إبراهيم سلسلة من الابتلاءات العظمى.

وإذا ما تأملنا في هذه السنة الربانية من حيث أثرها التربوي، نجد أنها تهدف إلى كشف حقيقة الإنسان أمام نفسه أولًا، وإعداده لمسؤولية أكبر ثانيًا، وتحقيق التوازن النفسي بين الرجاء والخوف ثالثًا، وتثبيت علاقة العبد بربه رابعًا. فالإنسان في لحظة الابتلاء يُنزع منه زيف الادّعاء، ويسقط عنه قناع التظاهر، ليظهر على حقيقته، فإن صبر ثبت، وإن جزع انكشف. ولذلك قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٤٦)، فالإيمان لا يُصدّق عليه إلا بالابتلاء، وهو معيار يميز المؤمن الصادق عن مدّعي الإيمان، ويُغربل المجتمع من الداخل.

وما من شك أن الابتلاء القرآني يتخذ أشكالًا متعدّدة؛ فقد يكون بالنفس، كما في المرض أو القتل أو الأسر، وقد يكون بالمال، كما في الفقر أو الخسارة، وقد يكون بالولد، كما في الفقد أو الانحراف، وقد يكون في المبادئ، كما في لحظة المفاضلة بين الحق والحياة، أو بين الدين والمصلحة (٤٧). وهذه الأشكال تتكامل لتصنع شخصية قرآنية حقيقية، لا تتعلق بالمظاهر، وإنما تثمر في القلب روحَ الصبر واليقين. ومن هنا، لا يكون الصبر موقفًا سلبيًّا، بل هو تفاعل حيٌّ مع سنن الله، يترقّى فيه العبد من مرتبة الرضا إلى مقام الرؤية الباطنية للجمال الإلهي حتى في أحلك اللحظات. وهو ما عبّرت عنه السيدة زينب (عليها السلام) بقولها الخالد أمام الطاغية: "ما رأيت إلا جميلًا"، وهو ليس كلامًا عاطفيًّا، بل فهم عميق لسنة الابتلاء بوصفها طريقًا للارتقاء (٤٨).

إن سيرة السيدة زينب (عليها السلام) تمثل ميدانًا تطبيقيًّا بارزًا لسنة الابتلاء القرآنية، فقد عاشت كل ألوان المحنة: من فقد الأخ والأبناء، إلى السبي والانكشاف، إلى المواجهة في مجلس الطغاة، لكنها لم تنهر، بل تجلت فيها معاني الثبات والتوكّل، وكأنها هي النموذج المؤنث لقيم الصبر النبوي. إن زينب (عليها السلام) لم تكن صابرة فقط، بل كانت مُبصرة، واعية، مدركة لسنة الله في خلقه، ولذلك لم تغضب، ولم تجزع، بل أدركت أن هذه المرحلة هي اختبار تمهيدي لمرحلة التمكين القادمة، والتي ظهرت في قيادتها للنساء، وبلاغتها في الخطابة، ووقوفها شامخة في وجه الظالمين، وهذه الرؤية العميقة للابتلاء لا تتأتى إلا لمن تمرّس في مدرسة القرآن وترقى في أحضان النبوة (٤٩).

ولذلك، فإن دراسة الابتلاء بوصفه سنة قرآنية، لا يمكن أن تكتمل دون الربط بين النصوص النظرية والتطبيقات الواقعية في سير العظماء، وعلى رأسهم أهل البيت (عليهم السلام)، ومنهم زينب الكبرى، التي طبقت السنن الإلهية في الابتلاء عمليًا، وجسّدت مفاهيم الصبر والشجاعة والتمكين بلغة الواقع، لا لغة الشعارات

المطلب الثالث:

سنة التمكين في القران الكريم_مكافاة الصابرين والمجاهدين:

إنَّ من سنن الله الثابتة في القرآن الكريم الابتلاء مرحلة تسبق التمكين، وأنّ من يتسلّح بالصبر ويثبت في ساحات المحنة، فإن الله تعالى يُعدّ له منحة النصر والرفعة في الدنيا قبل الآخرة، وهذا ما تؤكده النصوص القرآنية التي قرنت بين المحنة والمكافأة، وبين البلاء والتمكين. فالتمكين في القرآن لا يُمنح اعتباطًا، بل هو جزاء ربّاني لمن استوفى شروط الصبر والجهاد والثبات على المبدأ. وقد عبّرت عن هذه السنة الإلهية آيات عدّة، منها قوله تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (٥٠)، وهو وعد مشروط بالإيمان والعمل الصالح، لا بالانتماء ولا بالأمنيات فقط، كما قال المفسرون[٢٨]. فالتمكين سنّة لا محاباة فيها، ومن أهمّ مظاهره استخلاف الإنسان المؤمن في الأرض، وتأمينه بعد الخوف، وتثبيت دينه بعد الاضطراب.

وإذا كان الابتلاء غربالًا يكشف الصادق من المدّعي، فإن التمكين شهادة من الله بصدق المؤمنين ومقدارهم عنده، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٥١)، وهو نصر قد يأتي بصورة تأييد روحي، أو رفعة ذكر، أو تمكين فعلي في الأرض، بحسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية ، ولم يكن هذا التمكين خاصًا بالأنبياء، بل امتد أثره إلى المجاهدين في سبيل الله، كما في قصة طالوت وجنوده، أو أصحاب الكهف، أو أهل بدر، الذين نصرهم الله وهم قلة ضعفاء. ويكاد يكون القاسم المشترك بينهم هو الصبر في لحظة الفقد، والثبات في وجه الظلم، والجهاد المستمر رغم قسوة الظروف. وهذا ما يجعل من التمكين مكافأة ربّانية كبرى للصابرين والمجاهدين، لا تأتي إلا بعد التزكية والتمحيص.

وقد أكدت هذه القاعدة الآية الكريمة: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ فَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥٢)، وهي سنّة سار عليها التاريخ، وتجسّدت بجلاء في حياة السيدة زينب (عليها السلام) بعد كربلاء، حين تحوّل صوتها من صوت أسيرة إلى صوت قائدة، ومن خضوع الأسر إلى شموخ الكلمة، فكانت صورة قرآنية حيّة لسُنّة التمكين بعد الابتلاء، مكافأة لصبرها وجهادها (٥٣).

كذلك من بين السنن الإلهية التي بيّنها القرآن الكريم للناس كافة، وأكّد على شموليتها وثباتها، سنة الابتلاء التي تُعدُّ من أعمق السنن القرآنية أثرًا في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتوجيهه نحو الكمال، فقد عالجت النصوص القرآنية الابتلاء باعتباره أحد الوسائل الأساسية التي يربي بها الله عباده ويقودهم من طور الاستكانة والجهل إلى طور النضج والتمكين، ولأن السنة الإلهية لا تتبدل ولا تتحول، كما ورد في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٥٤)، فقد جاءت هذه السنة حاضرة في مسيرة الأنبياء والمؤمنين، لتصنع من الصابرين أئمة، وتجعل من الممتحنين أمناء على الرسالة.

وقد حملت لفظة الابتلاء في القرآن الكريم معاني متعدّدة تدور جميعها حول الامتحان والاختبار، ليس فقط في مواطن الشدة والعسر، بل حتى في مواضع الرخاء، لأن الغنى واليسر قد يكونان أشد فتنة من الفقر والضيق. ولذا جاء قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (٥٥) ليؤكد أن مجمل ما يعيشه الإنسان من تقلبات هو ابتلاء مستمر، يُبنى به الإيمان، ويُصفّى به القلب، وتُكشف به معادن الرجال والنساء على حد سواء. والابتلاء في حقيقته ليس جزافًا، بل هو فعل رباني نابع من حكمة مطلقة، يُوظّف لغايات عليا، من أبرزها تطهير النفوس، وتمييز الصفوف، وتقوية العزائم، وبناء الصبر الحقيقي الذي لا يتزعزع أمام العواصف (٥٦).

لقد عرض القرآن الكريم نماذج عديدة من قصص الممتحنين والمبتلين، بدءًا من سيدنا آدم (عليها السلام) الذي بُلي بإبليس والاختيار، ثم نوح الذي بُلي بقومه الرافضين، ثم إبراهيم الذي ابتُلي في عقيدته وولده ونفسه، ومرورًا بموسى الذي واجه طغيان فرعون، وعيسى الذي واجه تآمر قومه، وختامًا بسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي جمع الله له صور الابتلاء كلها، فكان النموذج الأتم للممتحَن الصابر، الذي استحق النصر والتمكين في النهاية. ولعل القاسم المشترك بين هذه النماذج كلها هو أن الابتلاء لم يكن أبدًا دليل غضب، بل كان أحيانًا وسيلة اصطفاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (٥٧) بعد أن اجتاز إبراهيم سلسلة من الابتلاءات العظمى.

وإذا ما تأملنا في هذه السنة الربانية من حيث أثرها التربوي، نجد أنها تهدف إلى كشف حقيقة الإنسان أمام نفسه أولًا، وإعداده لمسؤولية أكبر ثانيًا، وتحقيق التوازن النفسي بين الرجاء والخوف ثالثًا، وتثبيت علاقة العبد بربه رابعًا. فالإنسان في لحظة الابتلاء يُنزع منه زيف الادّعاء، ويسقط عنه قناع التظاهر، ليظهر على حقيقته، فإن صبر ثبت، وإن جزع انكشف. ولذلك قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٥٨)، فالإيمان لا يُصدّق عليه إلا بالابتلاء، وهو معيار يميز المؤمن الصادق عن مدّعي الإيمان، ويُغربل المجتمع من الداخل.

وما من شك أن الابتلاء القرآني يتخذ أشكالًا متعدّدة؛ فقد يكون بالنفس، كما في المرض أو القتل أو الأسْر، وقد يكون بالمال، كما في الفقر أو الخسارة، وقد يكون بالولد، كما في الفقد أو الانحراف، وقد يكون في المبادئ، كما في لحظة المفاضلة بين الحق والحياة، أو بين الدين والمصلحة (٥٩). وهذه الأشكال تتكامل لتصنع شخصية قرآنية حقيقية، لا تتعلق بالمظاهر، وإنما تثمر في القلب روحَ الصبر واليقين. ومن هنا، لا يكون الصبر موقفًا سلبيًّا، بل هو تفاعل حيٌّ مع سنن الله، يترقّى فيه العبد من مرتبة الرضا إلى مقام الرؤية الباطنية للجمال الإلهي حتى في أحلك اللحظات. وهو ما عبّرت عنه السيدة زينب (عليها السلام) بقولها الخالد أمام الطاغية: "ما رأيت إلا جميلًا"، وهو ليس كلامًا عاطفيًّا، بل فهم عميق لسنة الابتلاء بوصفها طريقًا للارتقاء (٦٠).

إن سيرة السيدة زينب (عليها السلام) تمثل ميدانًا تطبيقيًّا بارزًا لسنة الابتلاء القرآنية، فقد عاشت كل ألوان المحنة: من فقد الأخ والأبناء، إلى السبي والانكشاف، إلى المواجهة في مجلس الطغاة، لكنها لم تنهر، بل تجلت فيها معاني الثبات

والتوكّل، وكأنها هي النموذج المؤنث لقيم الصبر النبوي. إن زينب (عليها السلام) لم تكن صابرة فقط، بل كانت مُبصرة، واعية، مدركة لسنة الله في خلقه، ولذلك لم تغضب، ولم تجزع، بل أدركت أن هذه المرحلة هي اختبار تمهيدي لمرحلة التمكين القادمة، والتي ظهرت في قيادتها للنساء، وبلاغتها في الخطابة، ووقوفها شامخة في وجه الظالمين، وهذه الرؤية العميقة للابتلاء لا تتأتى إلا لمن تمرّس في مدرسة القرآن وتربّى في أحضان النبوة (٦١).

ولذلك، فإن دراسة الابتلاء بوصفه سنة قرآنية، لا يمكن أن تكتمل دون الربط بين النصوص النظرية والتطبيقات الواقعية في سير العظماء، وعلى رأسهم أهل البيت (عليها السلام)، ومنهم زينب الكبرى، التي طبقت السنن الإلهية في الابتلاء عمليًا، وجسّدت مفاهيم الصبر والشجاعة والتمكين بلغة الواقع، لا لغة الشعارات.

تُعد سنة التمكين في القرآن الكريم من أسمى الغايات التي يسعى المؤمنون لتحقيقها بعد المرور بمرحلة الابتلاء والتمحيص، فهي المكافأة الربانية التي يُوعد بها الصابرون والمجاهدون في سبيل الله. التمكين ليس مجرد انتصار مادي أو سياسي، بل هو تثبيت إلهي يشمل الاستقرار الروحي والاجتماعي، وبناء الأمة على أسس متينة من الإيمان والعدل. ففي كثير من آيات القرآن نجد ارتباطًا وثيقًا بين الصبر والثبات والتمكين، مما يدل على أن الطريق إلى التمكين معبّد بالصبر على الابتلاءات، واليقين بالله، والاجتهاد في الطاعة.

إن التمكين كما ورد في النصوص القرآنية هو عملية إلهية مدروسة، تبدأ بمرحلة الامتحان والاختبار، ثم مرحلة الفرز والتنقية من خلال التمحيص، ثم تأتي مرحلة التمكين، والتي تتمثل في تثبيت المؤمنين على دينهم وإعانتهم على أداء دورهم الحضاري في الأرض، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا لِلَّذِينَ أَجْرَيْنَا مِنْهُم مِّنْهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَيْبِ﴾ (٦٢). إن هذه الآية تأكيد على أن التمكين هو ثمرة الإيمان والعمل الصالح، وهو استحقاق نابع من رضى الله وكرمه.

ولا يقتصر التمكين على الأفراد فقط، بل يشمل المجتمع والأمة بأسرها، وهذا ما تظهره سنن القرآن في دعوة المؤمنين للثبات على المبادئ وعدم الانحراف عن القيم، حتى يتسنى لهم بناء مجتمع قوي قادر على مواجهة التحديات. فقد ربط القرآن الكريم بين التمكين وبين إقامة العدل، فقال تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٦٣)، في إشارة إلى أن التمكين هو إرث الأبرار الذين أقاموا العدل ورفعوا كلمة الله في الأرض

وفي حياة السيدة زينب (عليها السلام) تجلّت سنة التمكين بوضوح، فهي بعد أن اجتازت مراحل الابتلاء والتمحيص بقوة وصبر، وصلت إلى مرحلة التمكين التي جعلت منها رمزًا للثبات والإرادة الصلبة في وجه الطغيان. فمواقفها التاريخية في كربلاء وبعدها، خاصة في الكوفة والشام، لم تكن مجرد رد فعل على الأحداث، بل كانت تأسيسًا لنهج تمكيني اعتمد على قوة الحجة، وصلابة الإيمان، ووعي المسؤولية. ولولا هذه المرحلة من التمكين لما استطاعت أن تؤسس لجبهة دفاع حضارية عن الإسلام وأهل البيت (عليهم السلام)، ولما استمر أثر كربلاء حيًا في وجدان الأمة (٦٤)

كما أن التمكين في القرآن لا يتحقق إلا بعد استكمال شروط معينة، من أهمها الصبر، واليقين، والجهاد في سبيل الله، والالتزام بالطاعة. وقد ربط الله تعالى هذه الشروط بوعوده بالتمكين في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٥)، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[5]. فهذان السببان –الصبر والجهاد– هما البوابتان اللتان تفضيان إلى التمكين، وهو ما يُظهر مدى ارتباط التمكين بسلوكيات الإنسان وتفاعله مع الابتلاءات.

والتمكين، من جهة أخرى، يحمل دلالة عميقة تتجاوز الجوانب الدنيوية إلى أفق أوسع من التكليف والرسالة، حيث يُكلف الإنسان المسؤولية، ويُوكل إليه مهمة قيادة المجتمع نحو الخير والعدل، كما يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٦٦). فالمكينون هم الذين يحملون على عاتقهم حمل الرسالة، ويكونون قدوة في الصبر والعمل، وهذا يفسر لماذا يكون التمكين مصحوبًا دائمًا بظهور القادة والأئمة.

في ضوء ذلك، يمكن القول إن سنة التمكين تجسد مرحلة النضج الإيماني والفكري، وتحقق الغاية الكبرى التي وُجد الإنسان من أجلها: الخلافة في الأرض، كما أكد القرآن في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٦٧). وهكذا يصبح التمكين استكمالًا لسلسلة من العمليات التي تبدأ بالابتلاء، مرورًا بالتمحيص، وانتهاءً بالتمكين

الذي يشكل القاعدة التي يبنى عليها المجتمع الإسلامي.

في النهاية، إن فهم سنة التمكين في القرآن يتطلب إدراكًا عميقًا للترابط بين الابتلاء والتمحيص والتمكين، فالقرآن يقدم هذه السنن على أنها مراحل متتابعة ومتداخلة تشكل مسيرة الإنسان المؤمن نحو كماله الروحي والمادي، وتوجهه نحو بناء أمة قوية ومستقرة. والسيدة زينب (ع) تمثل المثال الحي لهذه المسيرة، حيث نجحت في تجسيد هذه السنن القرآنية في واقعها العملي، مما جعلها رمزًا خالدًا للثبات والتحدي والتمكين

المبحث الثاني:

السيدة زينب (عليها السلام) وتجليات السنن القرآنية في مسيرتها:

المطلب الاول:

الابتلاء في حياة السيدة زينب:

إنّ الابتلاء في حياة السيدة زينب (عليها السلام) من منظور قراني يُعد من أسمى وأعمق التجارب التي مرّ بها الإنسان المؤمن، وهو اختبار رباني يختبر مدى صدق الإيمان وقوة الصبر، وهذا الأمر موضح بشكل جلي في كتاب الله العزيز، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ (٦٨). ولقد تجسدت هذه الحقيقة بصورة بارزة في شخصية السيدة زينب بنت علي (عليها السلام)، التي ابتُليت بواحدة من أعظم المآسي في التاريخ الإسلامي، وهي واقعة كربلاء، التي أظهرت فيها أسمى معاني الصبر والثبات.

كما أن فهم الابتلاء في حياة السيدة زينب يتطلب العودة إلى المفاهيم القرآنية للابتلاء، حيث إن الله تعالى لا يبتلي عباده إلا ليرفع درجاتهم ويطهرهم من الذنوب ويقوي إيمانهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٦٩). والسيدة زينب كانت نموذجًا حيًا للصبر والتوكل، إذ صبرت على مصابها الجلل بفقدان زوجها، وأخيها الإمام الحسين، وأهل بيتها، ومع ذلك لم تنهار ولم تتراجع عن دورها في حفظ الدين والحق.

في الجانب القرآني، الابتلاء هو طريق للنمو الروحي والتقوى، وهو الوسيلة التي يحقق بها المؤمن قربة الله ويثبت على الحق، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (٧٠) وهذا ما فعلته السيدة زينب(عليها السلام) حين واجهت مصاب كربلاء، حيث لم تقتصر على الحزن، بل انطلقت لتحمل رسالة الحق، وتحولت ابتلاؤها إلى منارة إيمان وصبر وعمل دعوي.

وقد تمثل الابتلاء في حياة زينب بعدة صور، منها فقدان الأسرة، السبي والاعتقال، والمواجهة مع السلطة الجائرة، وهذه كلها اختبارات ربانية تقابلها بثبات لا يلين، وقوة إيمانية مستمدة من القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (٧١). فصبرها لم يكن سلبياً أو خضوعاً، بل كان صبراً إيجابياً، يحمل في طياته مقاومة وحفظ رسالة الحق.

إن هذه المشاعر والمواقف هي انعكاس حي للسنن القرآنية التي تربط بين الابتلاء والثبات، وتجعل من المحنة سببًا في التمكين، فالابتلاء لا يكون نهاية الطريق، بل بداية لمرحلة جديدة من العطاء والرسالة، وهذا ما جسدته شخصية السيدة زينب في تاريخ الإسلام ، وأن من يقرأ مسيرة السيدة زينب (عليها السلام) بتأمل وتدبّر لا بد أن يلحظ كيف تجسدت فيها سنة الابتلاء القرآنية بشكل حي وواقعي. فقد عاشت (عليها السلام) ابتلاءات متراكبة منذ نعومة أظفارها، تنقلت من مصيبة إلى أخرى، من فقد جدها المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله)، ثم أمها الزهراء (عليها السلام)، ثم متابعة الظلم الواقع على أبيها أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومرورًا بقتل أخيها الحسن (عليه السلام) مسمومًا، وصولًا إلى الفاجعة العظمى يوم عاشوراء حيث استشهد إخوتها وأبناؤها وأحبّاؤها أمام ناظريها، فكانت بذلك رمزًا قرآنيًا للصبر والتسليم واليقين بالله تعالى.

ويبرز في مواقفها بعد كربلاء تجلٍّ واضح لروح الرضا والتسليم، وهي من أبرز مظاهر التعامل الإيماني مع سنة الابتلاء. ففي مجلس ابن زياد، حين واجهها بجفاء وسخرية قائلاً: "كيف رأيت صنع الله بأخيك؟"، ردت (عليها السلام) بكل شموخ: "ما رأيت إلا جميلًا" (٧٢). هذه العبارة الخالدة اختزلت عمق فهمها للابتلاء من منظور قرآني، فهي لم تنظر إلى

ما حدث بوصفه مصيبة دنيوية، بل رأته جزءًا من الإرادة الإلهية التي تحمل وراءها حكمة وغاية، بل جمالًا في عين العارفين.
وقد أكدت نصوص كثيرة أن الابتلاء هو سنة ماضية على الأنبياء والأولياء، فكل نبي مرّ بمراحل من الشدة والضيق، حتى يتمّ الله له نصره. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٧٣)، أي أن التمحيص والبلاء يكشفان عن معادن الناس ويفرزان المؤمن الحقيقي عن المدّعي. وقد كانت السيدة زينب (عليها السلام) من هذا الصنف النقي، فحين استشهد أبو عبد الله الحسين (عليها السلام) وأهل بيته، لم تكن المصيبة لها فقط فاجعة شخصية، بل كانت لها بعد رسالي أعمق، إذ كانت ترى أنها جزء من معركة الحق ضد الباطل، وأن عليها أن تواصل حمل الرسالة، مهما كانت الظروف.
وهكذا كانت زينب الكبرى (عليها السلام) تُعبّر في سلوكها عن هذه السنة، لا بالشعارات، بل بالفعل والموقف، فكان صبرها في كربلاء وما بعدها مثالًا قرآنيًا حيًا، يمشي على الأرض، يرسخ معنى الصبر الجميل الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ ، أي الصبر الذي لا شكوى فيه إلا لله، ولا انكسار فيه إلا بين يدي الله.
لقد تجاوزت السيدة زينب (عليها السلام) في تعاملها مع الابتلاء كل معايير الاحتمال البشري، فلم تكن تبكي ضعفًا، بل وجعًا على الأمة التي انحدرت إلى مستوى قتلت فيه ابن بنت نبيها، ومع ذلك كانت في كل موقف تُجسد تعاليم القرآن، وتُعلي من شأن السنن الإلهية، وتحفظ بذلك الامتداد الرسالي لنهج الأنبياء والأوصياء.

المطلب الثاني:

السيدة زينب (عليها السلام)وتجلي سنة التمحيص في مسيرتها الرسالية:

تجلى في شخصية السيدة زينب (عليها السلام) نموذج متكامل لسنة التمحيص التي تتكرر في السنن القرآنية، حيث يختبر الله تعالى عباده المؤمنين ليصفيهم من الشوائب، ويبرز الصادقين في إيمانهم وعملهم. التمحيص يختلف عن الابتلاء، فهو مرحلة أعمق تتطلب استحقاقًا وتأهيلًا للقيام بمهمات عظيمة، وهذا ما برز جليًا في حياة زينب بعد واقعة كربلاء، حين انطلقت في طريق الرسالة والقيادة.
التمحيص كما بينه القرآن الكريم يتطلب ثباتًا على الحق وعدم الانحناء أمام الضغوطات، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (٧٤). وهذا الأمر لم يكن سهلاً على زينب، فهي واجهت خصومًا أقوياء من السلطة السياسية التي حاولت أن تقضي على حركة أهل البيت، لكنها صمدت، ووقفت بكل قوة وصراحة لتفضح ظلمهم.
تظهر سنة التمحيص في عدة محطات في حياة زينب، منها اعتقالها وسبيها مع نساء أهل البيت إلى الشام، حيث لم تخضع للظلم ولا الخوف، بل كانت سببًا في إيقاظ الضمائر وفتح الأبواب أمام الناس لمعرفة الحق، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٧٥). فجهودها الرسالية، كانت زينب سببًا في حفظ الرسالة الحسينية من الاندثار، رغم كل محاولات الطمس والتشويه..
من هذا المنطلق، يظهر أن التمحيص ليس فقط اختبارًا سلبيًا بل هو مرحلة إعداد وتعزيز، تمهيدًا للتمكين، وهو ما يفسر قدرة السيدة زينب على قيادة المرحلة بعد كربلاء بحكمة وعزم لا يشوبه ضعف، وهو ما يتفق مع قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (٧٦).
من السنن الإلهية التي أكد عليها القرآن الكريم سنة التمحيص، وهي السنة التي تميّز فيها الصفوف وتظهر فيها المعادن الحقيقية للنفوس. والتمحيص لغة هو: التنقية والتطهير من الشوائب، أما في القرآن فهو ابتلاء خاص يُراد به تصفية النفوس المؤمنة، وكشف الصادق من الكاذب، والثابت من المتزلزل. وقد جاء هذا المفهوم بوضوح في قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٧)، فالمؤمنون يُعرضون لامتحانات دقيقة تُظهر مدى صدقهم وثباتهم، وتزيدهم صقلًا وقوة إيمان، بينما يُمحق الكافرون نتيجة مواقفهم السلبية.
وقد جسدت السيدة زينب (عليها السلام) هذه السنة بأعلى صورها، إذ لم يكن تمحيصها من حيث البلاء فقط، بل كان في تحملها مسؤولية الرسالة بعد فاجعة كربلاء، وهي المرأة التي فُجعت بأخوتها وأبنائها، وأُخذت أسيرة مع بقية النساء

والأطفال، لكنها لم تُظهر جزعًا أو انهيارًا، بل برزت بمواقفها كمحمصة ربانية أثبتت جدارتها بحمل الأمانة الثقيلة، أمانة تبليغ أهداف الثورة الحسينية.

لقد كانت واقعة الطفّ نفسها ميدانًا كبيرًا للتمحيص، فالله سبحانه وتعالى أظهر من خلالها المخلصين الذين ثبتوا مع الإمام الحسين (عليه السلام) حتى اللحظة الأخيرة، وأظهر المتخاذلين والمترددين. والسيدة زينب (عليها السلام) عاشت هذه التصفية من الداخل، فرأت كيف انسحب الكثير من المدّعين، وبقي القلّة من الصادقين. وما أن انتهت المعركة، حتى تحوّلت هي (عليها السلام) إلى صوت الحق الذي فضح الباطل، وقاد الأمة من الذهول إلى الوعي، ومن الهزيمة الظاهرية إلى النصر المعنوي، فكان تمحيصها امتدادًا لمسؤولية الأنبياء والصالحين

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه السنة في سياقات متعددة، أبرزها في غزوة أُحد حين أصاب المسلمين الانكسار بعد مخالفة الرماة لأوامر النبي (صلى الله عليه وآله)، فجاء الخطاب الإلهي ليبيّن الحكمة من ذلك: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ (٧٨). فالمعركة كانت تمحيصًا عمليًا، وقد تكررت الصورة نفسها في كربلاء، ولكن بصورة أشد وأقسى، حيث لم يكن هناك نبي يُقاتل، بل ابن بنت النبي، والسيدة زينب كانت الحارس الواعي لذلك الحدث، وتحملت الدور الإعلامي الرسالي الذي جعل من كربلاء حدثًا خالدًا في ضمير الأمة ، والتمحيص كما يُفهم من القرآن، ليس فقط في ساحة المعركة، بل في تحمل التبعات بعدها. فالكثير من المؤمنين قد يصبرون في لحظة المعركة، لكنهم يتراجعون بعد النكبة، أو يصابون باليأس والانهيار. أما السيدة زينب (عليها السلام)، فقد ازداد نورها بعد الفاجعة، فدخلت قصر يزيد بكل شموخ، وخاطبته بأعلى درجات القوة والكرامة، معلنة أن التمحيص لا يزيد المؤمن إلا رفعة. فقد قالت كلمتها الشهيرة: "فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا" (٧٩)، وهذه العبارة تعكس جوهر النفس المحمصة التي لا تنكسر أمام الجبابرة، بل تقف بكل ثبات لأن تمحيص الله قد صقلها ورفعها.

وتشير التفاسير إلى أن التمحيص الإلهي يرتبط بقوة الإيمان والعلم والعمل. فكلما ازداد الإنسان التزامًا بدينه، كلما تعرّض لتمحيص أدق، وهو ما وقع للسيدة زينب (عليها السلام)، إذ أنها كانت حفيدة النبي، وبنت علي وفاطمة، وعاشت في بيت الوحي، فكان تمحيصها على قدر مكانتها، بل فاقت به كثيرًا من الرجال. ولعل ما ميزها أيضًا أنها أدت دورها في التمحيص كقائدة، لا كضحية، مما يجعل من تجربتها مثالًا يُحتذى في وعي المسؤولية بعد الابتلاء.

ومن أوجه التمحيص أيضًا، ما واجهته من التشويه الإعلامي الأموي، الذي حاول أن يظهرها وأهل البيت بصورة الخارجين عن طاعة "الخليفة"، لكنها ردّت هذا الإعلام المضلل بخطبها البليغة وكلماتها الراسخة التي اقتلعت جذور الباطل، وبيّنت للأمة حقيقة ما جرى في كربلاء، فكان تمحيصًا فكريًا وإعلاميًا في زمنٍ ساد فيه التزييف.

إن السيدة زينب (عليها السلام) خرجت من محنة كربلاء وهي أكثر ثباتًا ونضجًا، وكان ظهورها في الكوفة ثم في الشام مثالًا للمرأة الرسالية التي مرت بمراحل التمحيص وخرجت منها أقوى، وقدّمت خطابًا يُعادل رسالة الأنبياء في الصدع بالحق. وهذا ما يُثبت أن تمحيصها لم يكن عاديًا، بل كان مقدّمة لحملها مسؤولية الوعي والإصلاح في الأمة (٨٠)

المطلب الثالث:

السيدة زينب (عليها السلام) ومظاهر التمكين الرسالي بعد كربلاء:

تُعدّ مرحلة التمكين بعد الابتلاء والتمحيص من أعظم المحطات التي تُظهر عظمة شخصية السيدة زينب (عليها السلام) في ضوء السنن القرآنية، إذ انتقلت من حالة الفاجعة والاحتضار إلى حالة القوة والثبات، وتحملت مسؤولية رفع راية الحق والدعوة إلى الإصلاح. وهذا ما أراده الله سبحانه وتعالى من عباده الصابرين والمجاهدين ، فقد عكست السيدة زينب في مسيرتها كيف أن التمكين الحقيقي لا يكون إلا بعد المرور بمحطات الامتحان الصعب.

كان لزينب (عليها السلام) الدور المحوري في تعويض النقص الذي أحدثه استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، إذ لم تترك تلك الأحداث تُنسى أو تُطمس، بل أظهرتها بأوضح صورة، وجعلتها عبرة للأمم والأجيال، وحصنت

بذلك إرث أهل البيت (ع) من محاولات التشويه والطمس. ويمكن رؤية التمكين القرآني واضحًا في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (٨١)، فكانت زينب (عليها السلام) من أولى العلماء العاملين الذين حافظوا على الحق بقوة العلم والبلاغة والشجاعة.

كما أن تمكينها كان تمكينًا روحيًا أيضًا، فقد أصبحت نموذجًا للمرأة المؤمنة التي لا تكتفي بدورها العائلي، بل تتجاوز ذلك إلى القيادة والريادة، وهو ما ينسجم مع الرؤية القرآنية التي كرمت المرأة في أدوار متعددة، منها التعليم والدعوة والقيادة. ومن هذا المنطلق، تعد تجربة السيدة زينب نموذجًا يحتذى به في تمكين المرأة في المجتمع الإسلامي، حيث جمعت بين الحزم والرقة، بين الحنان والقوة.

لقد تمكين السيدة زينب (عليها السلام) بعد كربلاء كان حقيقيًا ومؤثرًا، فقد انتقلت من وضع الضحية إلى وضع القائدة، وهذا التمكين القرآني أكد على أن الله لا يترك عباده الصالحين في ضعفهم، بل يعينهم على حمل مسؤولياتهم في ظروف أشد تعقيدًا، قال تعالى: ﴿وَيَنصُرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (٨٢) وقد ظهر هذا النصر في قدرة زينب على مواجهة أعداء الحق، وصدّ دعاوى الباطل، والدفاع عن رسالة الإمام الحسين حتى كُتب لها المجد والتاريخ.

وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن شخصية السيدة زينب (عليها السلام) تمثل امتدادًا عمليًا لمقاصد السنن القرآنية التي تربط بين الابتلاء والتمكين، فهي نموذج فريد، حافظ على الرسالة بروح لا تلين، وقدمها للعالم بأبلغ الصور. وهذا ما جعلها رمزًا خالدًا، لا تقتصر أهميته على حقبة تاريخية معينة، بل هي منارات إيمانية وروحية تهدي الأجيال في كل زمان ومكان.

فبعد أن اجتازت السيدة زينب (عليها السلام) مرحلة الابتلاء والتمحيص بكل ثبات وإيمان، بدأت مرحلة التمكين الرسالي التي جسدت فيها دورها كقائدة ورسولة حق، حاملةً رسالة أهل البيت إلى الأمة الإسلامية، رغم ما لاقته من مصاعب وأهوال. ويُعد التمكين بعد الابتلاء والتمحيص سنة قرآنية أبدية، حيث قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ (٨٣) فكان التمكين مكافأة للإيمان والثبات.

تجلى التمكين في حياة زينب بعد كربلاء من خلال مواقف عدة أبرزت مكانتها ودورها القيادي، أولها حملها رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) ونقلها بشجاعة إلى الناس، خصوصًا في خطبها المشهورة في مجلس يزيد، حيث استخدمت الخطاب القرآني لتوضيح الحقيقة وكشف الظلم. وهذا الأمر يعكس قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (٨٤)، فزينب كانت رسولاً للحكمة والوعظ، متحلية بالصبر والبيان.

كما كان للتمكين أثر واضح في حمايتها لأهل البيت، إذ كانت صخرة صلبة في وجه الظلم والاضطهاد، تحمي رسالتهم وتنقلها عبر الزمن، مما أدى إلى بقاء نهج أهل البيت حياً في التاريخ الإسلامي، وهو ما يوافق ما ورد في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٣]. فزينب لم تكتفِ بالبكاء على المصاب، بل حولت ألمها إلى فعل مؤثر وقيادة راسخة. إضافة إلى ذلك، كان التمكين مرتبطًا بدورها الدعوي في تثبيت أتباع أهل البيت، وتعزيز الوعي الديني والسياسي في الأمة، وهذا من مظاهر سنة التمكين التي ذكرتها النصوص القرآنية التي تحث على الدعوة إلى الله بالصبر والحكمة: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (٨٥)، وفعلاً كانت زينب مثالًا جميلاً للصبر والعمل والقيادة.

وأخيرًا، تظهر مظاهر التمكين في تحقيق أثرها التاريخي الطويل، حيث أصبحت رمزًا للصمود والحق، وملهمة للأجيال في مواصلة طريق الإصلاح والعدل، وهذا يعبر عنه قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٨٦)

الخاتمة:

في ختام هذا البحث وبعد هذه الجولة في مسيرة السيدة زينب (عليها السلام) من خلال السنن القرآنية، تبيّن أن شخصيتها لم تكن مجرد نموذج صابر في وجه الابتلاء، بل كانت تجسيدًا حيًا للسُنن الإلهية التي تحكم حركة التاريخ وسير الإنسان في هذه الحياة. فقد مرّت بتجارب قاسية لا يتحملها إلا أصحاب الإيمان الراسخ، فكانت صابرة محتسبة، متيقنة

بوعد الله، مستنيرة ببصيرة قرآنية جعلتها تتجاوز حدود الألم إلى أفق الرسالة والتمكين..

لقد أظهرت الوقائع أن السيدة زينب (عليها السلام) لم تكن مجرّد شاهدة على المصاب، بل كانت فاعلة فيه، قائدة بكلمتها، راشدة بموقفها، حاضرة في قلب سنّة الابتلاء، ومتهيئة لنتيجة التمكين. وهذا ما يجعلها أنموذجًا قرآنيًا متكاملاً للمرأة المؤمنة التي تفقه سنن الله، وتتحرك في ضوئها، فتنقلب المحنة في يدها إلى منبر، وتتحول الهزيمة الظاهرية إلى فتح إلهي..

ومن خلال هذا البحث، يتبيّن أن السنن القرآنية ليست قوانين جامدة تُذكر للتدبر النظري فحسب، بل هي قوانين حيّة تتجلّى في حياة أولياء الله وأصفيائه، فتجعل من قصصهم دروسًا خالدة للأجيال. والسيدة زينب (عليها السلام) كانت من أبرز من تجلّت فيهم هذه السنن، حتى صارت شخصيتها جسرًا بين آيات البلاء وآيات النصر، وبين الصبر والتمكين، لتبقى عبرتها وعبرتها خالدة في ضمير الأمة، تُلهم كل من سار على درب الحق في وجه الطغيان، وكل من حمل لواء الصبر في زمن المحنة .

الهوامش:

(١)القرآن الكريم، سورة الاحزاب ، الآية ٦٢، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

(٢) القرآن الكريم، سورة الانبياء الاية ٣٥ في: القرآن الكريم، تحقيق: أحمد علي الطيب، دار النشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

(٣) في: القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله يوسف علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨ .

(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة ، الاية ١٢٤ في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦

(٥) القرآن الكريم، سورة العنكبوت الاية ٢ في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

(٦) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ١٢٨، في: القرآن الكريم، تحقيق: أحمد علي الطيب، دار النشر الإسلامية، القاهرة، الط بعة الأولى، ٢٠٠١ .

(٧) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١٥٥–١٥٦، في: القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله يوسف علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨.

(٨) القرآن الكريم، سورة المرسلات، الآية ٧، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦

(٩) القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية ٦٣، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

(١٠) القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية ٦٩، في: القرآن الكريم، تحقيق: أحمد علي الطيب، دار النشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

(١١) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ١١٤، في: القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله يوسف علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨.

(١٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ١١٤، في: القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله يوسف علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨.

(١٣) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية ١٢٧، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

(١٤) القرآن الكريم، سورة الطلاق، الآية ٢، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦

(١٥) آل عمران، الآية ١٤١ .

(١٦) سورة آل عمران، الآية ١٦٦–١٦٧.

(١٧) ابن نما الحلي، مثير الأحزان، مؤسسة آل البيت، قم، ص٩١

(١٨) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٦، ص١١٧.

(١٩) آل عمران، الآية ١٤١ .

(٢٠) جامع الأخبار ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ٢٠١٩، ص٢٣٥. الحديث: ٢٧.
(٢١) آل عمران ، ١٦٧ .
(٢٢) سورة الأعراف ، الاية٦٢
(٢٣) الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧، ج١٦، ص٢٧٨.
(٢٤) الميزان في تفسير القرآن. ج١٦، ص٢٧٨.
(٢٥) تفسير ابن كثير – تفسير سورة آل عمران – الآية ١٧٩ .
(٢٦) تفسير ابن كثير – تفسير سورة الأحزاب – الآية ٦٢.
(٢٧) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ٣٥.
(٢٨) تفسير ابن كثير – تفسير سورة الأحزاب – الآية ٦٢.
(٢٩) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١٢٤ .
(٣٠) القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية ٢.
(٣١) ابن فارس، أحمد. مقاييس اللغة. دار الفكر، بيروت، ١٩٩١، ج١، ص٢١٣.
(٣٢) المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤٥، ص١١٦.
(٣٣) الأمين، محسن. أعيان الشيعة. دار التعارف، بيروت، ج٧، ص١٣٧.
(٣٤) القرآن الكريم، سورة محمد، الآية ٣١
(٣٥) سورة الانبياء ، الاية ٣٥ .
(٣٦) ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. دار صادر، بيروت، ط١، ج٦، ص٦٧.
(٣٧) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١٤١ .
(٣٨) الشريف الرضي. نهج البلاغة. تحقيق صبحي الصالح، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٠، ص٤٣٤.
(٣٩) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١٦٦ .
(٤٠) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ١٦٨ .
(٤١) السيد محمد حسين فضل الله. الزهراء والسيدة زينب قدوة وأسوة. دار الملاك، بيروت، ٢٠٠٤، ص٧٧.
(٤٢) جعفر مرتضى العاملي. الصحيح من سيرة الإمام الحسين (عليه السلام). مؤسسة الوفاء، بيروت، ٢٠٠٠، ج٥، ص٢١٥.
(٤٣) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١٧٩
(٤٤) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ٨٨.
(٤٥) القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية ٣٤.
(٤٦) السيد محمد حسين فضل الله. الزهراء والسيدة زينب قدوة وأسوة. دار الملاك، بيروت، ٢٠٠٤، ص١٢٣-١٢٦.
(٤٧) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١٤٦ .
(٤٨) القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية ٦٩.
(٤٩) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية ٥٥ .
(٥٠) سورة النور ، الاية ٥٥
(٥١) الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. مؤسسة الأعلمي، ط٥، بيروت، ١٩٩٧م، ج١٥، ص١٤١.
(٥٢) القرآن الكريم، سورة غافر، الآية: ٥١ .
(٥٣) الرازي، فخر الدين. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب). دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط١، ١٩٩٩م، ج٢٧، ص٩٠.
(٥٤) القرآن الكريم، سورة القصص، الآية: ٥ .
(٥٥) السماوي، محمد باقر. زينب الكبرى قدوة وأسوة. دار التعارف، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م، ص٨٢
(٥٦) زينب الكبرى قدوة وأسوة، ص٨٢ .
(٥٧) سورة البقرة ، الاية ١٢٤ .
(٥٨) سورة العنكبوت ، الاية ٢ .
(٥٩) مفاتيح الغيب ، ص ٩٢.
(٦٠) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢١٦، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.
(٦١) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية ٢٨، في: القرآن الكريم، تحقيق: أحمد علي الطيب، دار النشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.
(٦٢) القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية ٦٠، في: القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله يوسف علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨.

(٦٣) القرآن الكريم، سورة محمد، الآية ٧، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦

(٦٤) القرآن الكريم، سورة محمد، الآية ٣١، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

(٦٥) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية ١٢٥، في: القرآن الكريم، تحقيق: أحمد علي الطيب، دار النشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

(٦٦) القرآن الكريم، سورة الحج، الآية ٣٨، في: القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله يوسف علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨.

(٦٧) القرآن الكريم، سورة المرسلات، الآية ٧، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

(٦٨) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية ١١١، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦

(٦٩) سورة العنكبوت ، الاية ٥٩ .

(٧٠) سورة القرة ، الاية ١٥٦ . في: القرآن الكريم، تحقيق: عبد الله يوسف علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨ .

(٧١) زينب الكبرى قدوة وأسوة، ص٨٤ .

(٧٢) زينب الكبرى قدوة وأسوة، ص٨٧ .

(٧٣) سورة الانعام ، الاية ٥٥ .

(٧٤) سورة المزمل ، الاية ١٠ .

(٧٥) سورة العنكبوت ، الاية ٦٩ ، في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦ .

(٧٦) سورة الطلاق ، الاية ٢ .

(٧٧) ال عمران ، الاية ١٤١

(٧٨) سورة آل عمران ، الاية ١٦٦ .

(٧٩) الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج٦ ، ص٨ .

(٨٠) الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج٦ ، ص٨ .

(٨١) سورة فاطر ، الاية ٢٨ .

(٨٢) سورة الفتح ، الاية ٣ .

(٨٣) سورة محمد ، الاية ٣١ .

(٨٤) سورة النحل ، الاية ١٢٥ .

(٨٥) سورة المعارج ، الاية ٥ .

(٨٦) سورة المائدة ، الاية ٩ .

المصادر:

١. ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٦ .
٢. ابن فارس، أحمد. مقاييس اللغة. دار الفكر، بيروت، ١٩٩١، ج١ .
٣. ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. دار صادر، بيروت، ط١، ج٦ .
٤. ابن نما الحلي، مثير الأحزان، مؤسسة آل البيت، قم .
٥. الأمين، محسن. أعيان الشيعة. دار التعارف، بيروت، ج٧ .
٦. جعفر مرتضى العاملي. الصحيح من سيرة الإمام الحسين (عليه السلام). مؤسسة الوفاء، بيروت، ٢٠٠٠، ج٥،
٧. الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ج٢٧.
٨. السماوي، محمد باقر، زينب الكبرى قدوة وأسوة، دار التعارف، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م .
٩. السيد محمد حسين فضل الله. الزهراء والسيدة زينب قدوة وأسوة. دار الملاك، بيروت، ٢٠٠٤ .
١٠. الشريف الرضي. نهج البلاغة. تحقيق صبحي الصالح، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٠ .
١١. الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧، ج١٦.
١٢. في: القرآن الكريم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦ .
١٣. المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤٥ .

Website address

White Dome Magazine

Republic of Iraq

Baghdad / Bab Al-Muadham

Opposite the Ministry of Health

Department of Research and Studies

Communications

managing editor

07739183761

P.O. Box: 33001

International standard number

ISSN3005_5830

Deposit number

In the House of Books and Documents (1127)

For the year 2023

e-mail

Email

off reserch@sed.gov.iq

hus65in@gmail.com

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

General supervision the professor
Alaa Abdul Hussein Al-Qassam
Director General of the
Research and Studies Department editor
a . Dr . Sami Hammoud Haj Jassim
managing editor
Hussein Ali Muhammad Hassan Al-Hassani
Editorial staff
Mr. Dr. Ali Attia Sharqi Al-Kaabi
Mr. Dr. Ali Abdul Kanno
Mother. Dr . Muslim Hussein Attia
Mother. Dr . Amer Dahi Salman
a. M . Dr. Arkan Rahim Jabr
a. M . Dr . Ahmed Abdel Khudair
a. M . Dr . Aqeel Abbas Al-Raikan
M . Dr . Aqeel Rahim Al-Saadi
M. Dr.. Nawzad Safarbakhsh
M. Dr . Tariq Odeh Mary
Editorial staff from outside Iraq
a . Dr . Maha, good for you Nasser
Lebanese University / Lebanon
a . Dr . Muhammad Khaqani
Isfahan University / Iran
a . Dr . Khawla Khamri
Mohamed Al Sharif University / Algeria
a . Dr . Nour al-Din Abu Lihia
Batna University / Faculty of Islamic Sciences / Algeria
Proofreading
a . M . Dr. Ali Abdel Wahab Abbas
Translation
Ali Kazem Chehayeb